

تهميش الجسد الأنثوي في الثقافة الاجتماعية من منظور بيير بورديو "

Pierre Bourdieu's conception of Marginalization of the female body in the social culture

¹خليدة زناتي اشراف : ²د. أحمد كشي

¹جامعة الجزائر-2- " ابو القاسم سعد الله " مخبر الفنون و الجماليات- الجزائر. kholoudzen@gmail.com

²جامعة الجزائر-2- " ابو القاسم سعد الله " مخبر الفنون و الجماليات- الجزائر. Kechiahmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/06 تاريخ القبول: 2022/03/12 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

لقد أحدث "بيير بورديو" (1930-2002) Pierre Bourdieu نقلة نوعية في السوسيولوجيا، عندما جعل الجسد موضوعا للدراسة الاجتماعية و الثقافية، وقد حاول من خلال فكرة "التشكيل الاجتماعي للجسد" أن يفسر كيفية استخدامه كوسيلة من الوسائل التعبير عن هيئة البنى والعلاقات الاجتماعية، و على هذا الأساس ، فقد تبين مما أثاره " بورديو " حول البناء الاجتماعي للجسد، ظهور ثقافة نوعية تتجلى من خلال ظواهرها ، فوارقا طبيعية بين المرأة والرجل، تتخذ قاعدة تُرسم بمقتضاها فوارقا اجتماعية واضحة بينهما وذلك هو الأمر الذي يؤدي حسب شكل مباشر إلى تهميش الجسد الأنثوي من منطلق ما أسماه بيير بورديو "الهيمنة الذكورية" " **Domination masculine** "، و التي سعى إلى الكشف عن آليات اشتغالها و فهم ديناميكياتها الاجتماعية، بحيث أنها تعتبر من القضايا المتوارية، المستترة والمسكوت عنها- عن قصد أو عن غير قصد- لهذا قد حاول إظهارها و إمطة اللثام عن حقيقة طبيعتها وآثارها في تنميط السلوك " **Modélisation du comportement** " في الحياة الاجتماعية باستخدام أدوات النقد الاجتماعي ، قصد المساهمة في فهم أعمق و أوضح للحياة الاجتماعية .

الكلمات المفتاحية: جسد - ثقافة - تهميش - فوارق - أنثى - ذكر .

Abstract:

Pierre Bourdieu achieved significant progress in sociology by integrating the female body into the social facts that arouse the interest of sociological investigations. For this purpose, he took the body as a topic of social cultural study.

He tried, through the idea of social formation of the body, to explain how to use the female body as a mode of expressing social structures and relationships. So it clearly appears through what Bourdieu proposed about the social structure of the body, that the social culture considers the natural differences between men and women a basis for the social differences, which creates a kind of marginalization of the female body under the concept of what is called " male domination"; for which he seeks to understand its functioning mechanisms, considering that it is one of the hidden and silent issues, whichever he tried to put in the spotlight through criticism to contribute to a better understanding of social life.

Key words : Body – culture – marginalization – female – male - differences.

المؤلف المرسل: زناتي خليدة

إنّ الحديث عن حياة الإنسان يشمل بالضرورة الحديث عن جسده الذي يحدد هويته في شكله المادي الظاهري، وإنّ المعالجة الاجتماعية و الثقافية التي يعدّ موضوعا لها والصور التي تتكلم عن عمقه المخبأ والقيم التي تميزه، تحدثنا أيضا عن الشخص وعن المتغيرات التي يمر بها وعن أنماط وجوده من بنية اجتماعية لأخرى، ومن الواجب علينا هنا تعيين الحدود بين الجسم البيولوجي وبين الجسد بمعناه الثقافي .

فكلمة "جسد" corps " تقابلها كلمة جسم و لفظ الجسد مرادف في اللغة للفظ الجسم الذي هو شيء مادي مدرك بالحواس وموضوع في المكان¹ ، و البدن و الجسد اليومي هو الذي يخضع لقوانين و سنن التواصل الاجتماعي وهو مشترك بين كل الناس² ، أما "الجسدي" corporel "فهو كما عبر عنه فريد الزاهي : " إن الجسدي يبدو في نظرنا جسدا وظيفيا وتواصليا واجتماعيا³ ، ومن هنا فإنه يجدر بنا إلى ضرورة الحديث عن موضوع الجسد ككيان له إبعاد كثيرة تساعد في تكوين حياة الفرد و حياة الجماعة و بضرورة ربطه بالعلاقات التبادلية بينه وبين المجتمع وثقافته .

فإذا كانت الثقافة هي ما يتيح للناس بالارتقاء فوق وجودهم الطبيعي ، فإنها أيضا مرتبطة بالسلوك الإنساني الحامل لعادات وقيم وأفعال ، مما يعني أنها مستنبطة من ممارسات ، لهذا حاول بيير بورديو عالم الاجتماع الفرنسي تحليل منطق الممارسات الثقافية والتي لا يمكن الكشف عنها والإحاطة بها حسبه ، إلا بالعودة إلى الثقافة المسيطرة داخل المجتمع، أي (ثقافة المهيمن) وهو يرى بأنها عبارة عن مجال للصراع بين المجموعات الاجتماعية ، من أجل تعزيز الفوارق الاجتماعية وإدامتها ، و تحويلها إلى سلطة مهيمنة لها آليات تشتغل بها تجعل من المهيمن عليه يتقبل هذه السيطرة وكأنها أمر طبيعي ومشروع !

حاول بورديو معالجة إحدى هذه المسائل الثقافية والاجتماعية وهي "الهيمنة الذكورية على الجسد الأنثوي" ، وذلك من خلال عرضه لثقافة المجتمع الجزائري (القبائلي) كنموذج لمجتمع ذكوري محاولا تحليل هذه المسألة ، وذلك بمقارنته بنظرية النوع الاجتماعي ، وانطلاقا من هنا يجدر بنا التساؤل :

كيف جسدت هذه الثقافة هيمنتها على الجسد الأنثوي ؟

2-الثقافة و بناء الجسد الاجتماعي :

إنّ الجسد عبر التاريخ لم يحظ بالاهتمام إلا في حدود ما يعنيه من جهة الصورة البيولوجية ، بعيدا عن تناوله كمحرك اجتماعي أساسي ولقد تم التنبه إلى تناوله في جانبه الاجتماعي والثقافي فقط في الآونة الأخيرة من القرن الماضي . وبما أن جسد الإنسان هو علامة من العلامات الدالة على انضمامنا إلى هذا الوجود ، فإنه يعتبر كيانا له تمظهرات متعددة ، فضلا عن كونه أداة يسعى الإنسان من خلالها إلى تلبية حاجياته المختلفة ، لذلك توكل إليه العديد من الوظائف المتميزة، فيحقق الاندماج الاجتماعي ليستثمر الأفراد في ذواتهم وفي علاقاتهم مع الآخرين .

ويعتبر المجتمع ذلك المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويتعلم من خلاله القيم والعادات والتقاليد ، وعلى هذا الأساس يتم تكييف جسده بالشكل الذي يلائم السقف الثقافي الذي يسود هذا المجتمع .

¹ مراد وهبة: "المعجم الفلسفي" ، دارقباة للطباعة والنشر، د. ط، د. ت ، ص 256

² فريد الزاهي : "الجسد والصورة والمقدس في الاسلام" ، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، د.ط، ص 32

³ نفس المرجع السابق ، ص "27،28"

تهميش الجسد الأنثوي في الثقافة الاجتماعية من منظور بيير بورديو

وهكذا فإن الثقافة تعد كأداة تتجاوز تفاسير السلوكيات البشرية الطبيعية، فطبيعة الإنسان مؤولة كلها ثقافيا والاختلافات التي قد تبدو الأكثر ارتباطا بميزات بيولوجية، خاصة كاختلاف الجنس مثلا لا يمكن ملاحظتها في ذاتها على حالتها الطبيعية، بحيث أن الثقافة تتكفل بها مثلا في تقسيم الأدوار، والمهام في المجتمعات الإنسانية و" الثقافة تتنوع من مجتمع إلى آخر"⁴، والإنسان يشارك في الرابطة الاجتماعية ليس فقط بكلامه وأعماله فحسب، بل كذلك "بسلسلة من السلوكيات والإيماءات التي تساهم في التواصل عبر عدد لا يحصى من الطقوس التي تفضح الانسياب اليومي"⁵.

ولا يمكن للإنسان أن يتواجد إلا من خلال جسمه، فقد شدد فوكو على دور الجسد في تحديد فضاء الاستدعاء الموضوعي للذات "moi" اذ يقول "وفي تحديد مكان بلا عمق لا يمكن للأنا إلا أن تطابقتي مع نفسي دون أن يكون لها من خيارا، إلا أن تكون هنا بحيث يوجد جسدي، أنا لا أستطيع أن أتركه هناك حيث يقيم لكي أذهب بعيدا"⁶. إن هذا الجسد هو محور العلاقات بالعالم والمكان والزمان وحيث التواجد متجلي من خلال ذلك الوجه المعبر عن الإنسان "و من خلاله أيضا يتحكم في جوهر حياته، ويترجمها الآخرون بواسطة أنظمة رمزية يقتسمها مع أفراد مجموعته"⁷.

لهذا اهتمت السوسيولوجيا بمناطق الاضطراب الاجتماعي والثقافي للجسد وهو موضوع عادة ما يطرح كتحليل للممارسات الاجتماعية أو للتمثيلات الاجتماعية و"هكذا يصبح الجسد في واجهة الاجتماعي والفردى، الطبيعة والثقافة، البيولوجي والرمزي"⁸.

يمثل الجسد إحدى أهم المناطق المهمة في فكر عالم الاجتماع "بيير بورديو" فهو يرى أن عادات الجسد لا تعبر فقط عن الأوضاع الجسدية وإنما تعكس بناء ثقافيا وأخلاقيا راسخا، " لهذا فالجسد ينتج معان ويعمل على دمج الإنسان بكل قوة داخل فضاء اجتماعي وثقافي معين"⁹.

وقد عمد بورديو إلى معالجة مفهوم السلوكيات ثقافيا في معنى انثروبولوجي ثقافي، باستخدام مفهوم الهابيتوس "habitus" وهو نسق الاستعدادات التي نشأ عليها الفرد ويكتسبها، وهو يعمل وفق آليات داخلية معقدة تكون حدود النسق وشكله في استقلالية عن محيطه وتظهر إلى العلن في ممارسات تعبر عن الهوية الاجتماعية لصاحبها وانتماءه و من ثم فإن " التطبع " أو "الهابيتوس" يحيل إلى ممتلكات الفرد ومكاسبه وقيمه بمعناها المادي والمعنوي، (أي رساميله الاجتماعية منها و الرمزية) وقد تحولت في تفاعلات الحياة الاجتماعية من خلال تمثيلها الجسدي إلى وجود وكيونة"¹⁰ وهو كذلك تلقائية مولدة تؤكد نفسها في مواجهة مرتجلة لكل تغيير للأوضاع، "والتطبع يولد ممارسات تتأقلم فورا على الحاضر والمستقبل المنقوش في الحاضر"¹¹، أي أنه مسؤول على تركيب شخصية الإنسان التي تظهر على سلوكاته، إذ هو أيضا يعبر عن التجسد

⁴ دنيس كوش: "مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية"، ترجمة: د.منير السعيداني، مراجعة: د.ظاهر لبيب، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة 1، مارس 2007، ص 10

⁵ دافيد لوبروتون: "سوسيولوجيا الجسد"، ترجمة: عياد أبلال، إدريس المحمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2014، ص 9

⁶ ميشال فوكو: "الجسد الطوباوي، أماكن أخرى"، ترجمة: محمد العرابي، مدونة جورج باتاي، منشورات الانتهاكات، العدد السادس، د.ت، ص 17

⁷ دافيد لوبروتون: "سوسيولوجيا الجسد" ص 16

⁸ نفس المرجع، ص 11

⁹ نفس المرجع، ص 17

¹⁰ عبد السلام حيمر: في سوسيولوجيا الخطاب " من سوسيولوجيا التمثيلات إلى سوسيولوجيا الفعل"، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص 392

¹¹ بيير بورديو: أسئلة علم الاجتماع حول "الثقافة والسلطة والعنف الرمزي"، ترجمة وتقديم: إبراهيم فتحي، دارالعالم الثالث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995، ص 10

أي " أن الزمن والتاريخ قد جسدا في هذه العلاقة الجدلية الدائمة بين تاريخ الفرد الفاعل وتاريخ الجماعة التي يندرج في وجودها وجوده الفردي ".¹²

وهكذا فالثقافة مجالها واسع مع ما تثيره من اضطراب في العلاقة بالآخر، بالجسد ، بالجنسانية و بالتواصل الواقعي، ولهذا تكون سوسولوجيا الجسد "مختصة بفهم الجسد الإنساني كظاهرة مجتمعية و ثقافية ومادة للرمز و موضوعا للتمثلات والمخييل"¹³. وهي تحاول بذلك أن تشرح لنا بأن الجسد الذي صنعه السياق الاجتماعي والثقافي الذي يخوضه ، ما هو إلا ذلك الجانب الدلالي " الذي تتجلى من خلاله واقعية علاقته بالعالم الخارجي من خلال الأنشطة والتعبير عن المشاعر والخضوع لطقوس التفاعل مع الآخر عن طريق الحركات والإيماءات ".¹⁴

3-العنف الرمزي و تهميش الجسد الأنثوي:

إن فهم العالم هو نفسه فهم الجسد عبر وساطة العلامات الاجتماعية المستوعبة المفككة و الموظفة من طرف الإنسان (الفاعل)، فالجسد موجه لفهم العلاقات بالعالم والإنسان، إذ عبره يمتلك الفرد مادة وجوده حسب وضعه الاجتماعي والثقافي.

إن الحديث عن الجسد الإنساني يحيلنا بالضرورة للحديث عن الجسد الأنثوي ، بحيث يكشف لنا هذا الجسد الأبعاد السوسولوجية والتمثلات والتحويلات التي تأثر في العلاقة بين الجسد الأنثوي والمجتمع ، أي بين ما هو مذكر ومؤنث . كما يحيل مفهوم النوع إلى التأويلات الثقافية للاختلافات البيولوجية و إلى التصنيف الاجتماعي (مذكر / مؤنث) و إلى الأفكار و التمثلات الاجتماعية لمعنى الذكورة والأنوثة وهو يختلف من ثقافة لأخرى بحيث أن الشعوب والثقافات تختلف في تحديدها لسمات هذا المعنى ، فينتج النوع و يعاد انتاجه في العديد من النشاطات و الممارسات اليومية .

الأمر الذي جعل بورديو يتكلم عن علاقة الرجل بالمرأة ، بطرح مسألة التمييز بين الجنسين " نقول لكوننا متضمنين رجلا وامرأة في الموضوع الذي نسعى إلى تعقله ، فإننا استدمجنا في شكل ترسيمات لا واعية الإدراك وتقدير البنى التاريخية للنظام الذكوري وإننا نخاطر إذا بأن نلجأ كي نفكر بالهيمنة الذكورية إلى أنماط تفكير ، وهي نفسها نتاج مهيمن ".¹⁵ يرى بورديو أن الهدف من وراء التمييز بين الجنسين هو دائما وجود رغبة في تحديد المواقع التي يعمل بها جنس للسيطرة على جنس آخر، وهذا بحكم اختلافه عنه ، ما يجعل هناك معادلة معقدة وغير متكافئة تجعل من الجنس المسيطر يدعي المركزية والقوة على الجنس المسيطر عليه والذي سيكون بالضرورة معاكسا للأول ، الذي يمثل الهامش والضعف .

ينطلق بورديو من فكرة الهيمنة التي تتم في نظره عن طريق الرمز ، مما يعني أن الذكر مهيمن على الأنثى بواسطة فرض الطاعة التي تستند إلى معتقدات و تمثلات ، وهكذا يتم تغير الأنثى من كائن طبيعي إلى كائن مصنوع ثقافيا .

ولشرح عملية إنتاج الرمز المتعلقة بالجنسين وربطهما بالظاهرة الثقافية ، أخذ بورديو مجتمع القبائل في الجزائر كنموذج لمجتمع المركزية الذكورية ، قصد الكشف عن بعض الممارسات الأكثر تواريا و تسترا في المجتمعات المعاصرة والتي مازالت تقوم على فكرة الهيمنة الذكورية من خلال التمييز الرمزي بين ما هو ذكوري وما هو أنثوي ، يقول بورديو مبررا

¹² عبد السلام حيمر: في سوسولوجيا الخطاب ، ص 392

¹³ دافيد لوبروتون: "سوسولوجيا الجسد" ، ص 15

¹⁴ دافيد لوبروتون ، ص 15

¹⁵ بيير بورديو: "الهيمنة الذكورية" ، ترجمة : د. سلمان قعفراني ، مراجعة : د.ماهر تريمش ، مركز الدراسات و الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،

أبريل 2009 ، ص 21

تهديش الجسد الأنثوي في الثقافة الاجتماعية من منظور بيير بورديو

اختياره لهذا المجتمع بالذات " تقتضي تجربة المختبر بمقاربة التحليل الأثنولوجي للبنى الموضوعية وللأشكال المعرفية لمجتمع تاريخي مخصوص، غرائبي وحميم، غريب ومألوف في الوقت عينه، هو مجتمع بربر القبائل و إن الاختيار لحال خاصة للقبائل، إنما يبرر نفسه إن نحن علمنا أن التقليد الثقافي الذي حافظ على نفسه يشكل تحقيقاً نموذجياً للتقليد المتوسطي".¹⁶

يرى بورديو بأن الاختلاف بين الأجساد الذكورية والأنثوية في هذا المجتمع يمكن أن يظهر وكأنه تبرير طبيعي للاختلاف المبنين "structuré" اجتماعياً بين النوعين وبشكل خاص في التقسيم الجنسي للعمل " النظام الاجتماعي يشتغل باعتباره آلة رمزية هائلة، تصبو إلى المصادقة على الهيمنة الذكورية التي يتأسس عليها، إنها التقسيم الجنسي للعمل والتوزيع الصارم جداً للنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنسين بمكانه وزمنه وأدواته، إنها في بنية الفضاء مع التعارض بين مكان التجمع أو السوق المخصصة للرجال والمنزل المخصص للنساء أو التناقض داخل المنزل بين القسم الذكوري مع الموقد، والزريبة والماء والخضار مع القسم الأنثوي"¹⁷، لهذا فإن العمل دائماً يتأسس على أنه مختلف حسب ما إذا كان يقوم به الرجال أو النساء، فبعض الوظائف تجد نفسها مؤهلة على نحو ما إلى أن الرجال هم من يقومون بإنجازها ولا يمكن للنساء القيام بها والأمر كذلك بالنسبة للرجال.

لم يقتصر بورديو على الكلام عن الخصائص المميزة جسدياً بين الجنسين في تقسيم العمل، بل حاول كذلك التركيز على الفعل الجنسي والأعضاء الموظفة فيه بخصائصها المؤولة بعد أن يتم الإشارة لها بالرمز "ترميزها" وهذا لتدخل في مفهوم الثقافة الذي قام بصياغته "كنوع من أنواع وأشكال رأس المال الثقافي بقوانينه المحددة للتراكم والتبادل والممارسة"¹⁸، بمعنى أن عملية بناء الرمز متعلقة بالأعضاء والفعل الجنسي ستنعكس في الممارسات اليومية للجنسين الثابتة بمرور الزمن والمكونة لرأس مال قابل للتوارث.

فالعضو الذكري كمدرك بيولوجي وحسي، يتميز ببعض الخصائص منها أنه صلب، مستقيم وفتح وممهر وهو يمثل النور والحياة والقوة والصلابة، أما العضو الأنثوي كمدرك بيولوجي فيتميز بأنه رطب، ومعتم، وخفي ويمثل الظلام، الليونة والضعف، وهذا تتوضح الهوية الذكورية التي تحمل الرموز الإيجابية، مقابل الهوية الأنثوية التي تحمل الرموز السلبية، أي أن الرموز يعاد بناؤها انطلاقاً من الرموز الأصلية التي ستعوض الجسدين المختلفين وإن كانت لا تعبر عن حقيقتها ككيان و" هكذا تدخل هذه الرموز المصطنعة في الهويتين لتحل مكانها".¹⁹

وإضافة إلى ما سبق فقد حاول بورديو توضيح معنى تجنيس الأشياء، إذ يرى بأن مبدأ التقسيم القائم على المركزية الذكورية "متأصل أيضاً في الأشياء"²⁰، وهذه الترسيمات المجسدة في الواقع من طرف الجنسين لها معنى مشترك بين الأفراد، فهو يرى بأن الأعضاء التناسلية تكون "حاضرة بخصائصها مجازياً"²¹، في الأشياء الموجودة في البيت، إذ نجد مثلاً أن البيت في الأساس هو مكان خفي مخصص للأنثى، وكذلك ينبوع الماء الذي تحضر منه المرأة المياه، هو مكان خفي بعيد

¹⁶ نفس المصدر، ص "21،22"

¹⁷ نفس المصدر، ص "27، 28"

¹⁸ جون سكوت: خمسون عاماً اجتماعياً أساسياً " المنظرون المعاصرون"، ترجمة: محمود محمد حلي، مراجعة: جيبور سمعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2009، ص115 بتصرف"

¹⁹ جان بودريار: المصطنع والاصطناع، ترجمة: جوزيف عبد الله، مراجعة: سعود المولى، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 2008، ص27

²⁰ بيير بورديو: الهيمنة الذكورية، ص 47

²¹ نفس المصدر، ص 30

خليدة زناتي د. أحمد كشي

عن الأنظار، كل هذا يقابل الأماكن الظاهرة المتواجدة بالخارج للذكور، كالسوق والمقهى والمساجد، هذه الأماكن والأشياء الموجودة فيها تجسد لترسيمة "خفي مستتر" و"ظاهر بارز"، مثل العضو الأنثوي المستتر والعضو الذكري البارز.

يؤكد بورديو على أن كل الممارسات التي يقوم بها الجنسين تكون بالضرورة مطابقة لما هو موجود في الاستعدادات المرسخة في الذهن والجسد معا "أي تجنيس العمل"، فالرجل يمارس عمله في الخارج وأعماله مجسدة لعضوه الذكري الخارجي الصلب، عكس ما يكون عند الأنثى التي تقوم بمزاولة أعمالها في الأماكن السفلية والمعتمة والخفية للمنزل، مطابقة بهذا لخصائص عضوها الأنثوي الرطب والخفي، المعتم.

لهذا نجد أن الذكر يتوجه دائما نحو الفعل والخارج والظهور، هذا تماما بعكس الأنثى التي تتواجد في الخفاء والعتمة في جهة العمل الذي لا يرى ولا يظهر للجميع، فالرجل بحكم قوته يحتاج إلى التواجد في مكان خارجي وبارز عكس الأنثى التي بحكم ضعفها عليها أن تتواجد في المكان الخفي والضيق المتمثل في البيت، وبهذا نجد أعمال الأنثى في المجتمع القبائلي تختلف عن أعمال الرجل فهي تقوم به في مكان محدود يحتويها ويحد من حريتها وحركتها، عكس الرجل الذي يعمل في مجال واسع إذ يتمتع بكامل الحرية ومطلق الحركة.

كما أن فكرة التجنيس حسب بورديو تشمل أيضا السلوك الذي يتجلى في كل أشكال نشاطات الفرد الخارجية، وتظهر كذلك في مختلف الحركات الصادرة عن الجسم والمتعلقة بالجنسين معا ويظهر تجنيس السلوك في طريقة عرض الجسم وطريقة التفكير أيضا، إذ نجد هذا مثلا في طريقة الوقوف بالصدر منفوخا ورفع الصوت والرأس، مما يجعله ثابتا وواثقا في نفسه، عكس الانحناء وخفض الرأس والصوت لدى الأنثى ما يجعلها مترددة وغير واثقة، لتستقر هذه الأفكار والسلوكيات في وعي الأنثى على أنها أمور طبيعية، يقول بورديو "إن الجسد وحركته باعتبارها سجلات لمبادئ كونية تخضع لعمل بناء اجتماعي، لا هي محددة بالكامل في دلالتها الجنسية تحديدا ولا غير محددة بالكامل، بحيث أن الرمزية مرتبطة بها، فهي في الوقت ذاته اصطلاحية ومعللة، فتدرك بالتالي كأنها شبه طبيعية"²²، وهذه السلوكيات بالإجمال يعتبرها بورديو ناتجة عن دوافع اجتماعية لفرض الخضوع والسيطرة.

وكذلك ترتبط السلوكيات حسبها بالجانب الأخلاقي المتعلق بمفهوم الفضيلة والرجولة "الفحولة" في المجتمع القبائلي، فمن المفروض على أن الأنثى العفيفة الفاضلة، بأن تتواجد داخل البيت بالإضافة إلى ضرورة الالتزام بالأعمال المنزلية المسندة إليها وطاعة الرجل وعائلته، ويتحتم عليها أيضا إخفاء الجزء السفلي من جسدها بوضع الحزام فهو واحد من علامات إغلاق الجسد الأنثوي "فمن تتمسك بحزامها موثوقا ولا تفكه تعتبر فاضلة وعفيفة"²³ وهذا حد رمزي يدل على طهارة المرأة وشرفها وأما الرجل فيشعر دائما بأنه ملزم على أن يكون في مستوى الإمكانية المتاحة له بزيادة شرفه والسعي إلى المجد في مجاله الاجتماعي العام.

وبهذا تبقى الأنثى ملتزمة بممارسة مفهوم الفضيلة وعلى الذكر أن يلتزم هو الآخر بممارسة معنى الرجولة "الفحولة" وهذا تطابقا لكل الترسيمات السابقة "خفي، لين، مظلم" / "قوي، مستقيم، ظاهر" التي تظهر في سلوكيات الحياء وخفض الرأس للأنثى، وإبراز الصدر والشوارب ورفع الرأس والصوت للذكر، وبهذا فإن الجدل سيبقى قائما حول هذه الممارسات التي تعتبر مصطنعة ومفروضة على الجنسين معا باسم الفضيلة والأخلاق وهي أخلاق في الحقيقة تم اصطناعها

²² نفس المصدر، ص 28

²³ نفس المصدر، ص 35

تهديش الجسد الأنثوي في الثقافة الاجتماعية من منظور بيير بورديو

من طرف المجتمع الأبوي عن طريق بناء عالم معرفي متضمن مجموعة من المعارف والمواقف والمعتقدات حول الذات وتصرفاتها والعالم الخارجي .

إن كل هذه المعارف ترسخ في ذهن الجنسين عن طريق التربية وصرامة الوالدين و ذلك بالعقاب الجسدي أيضا إذ تتعرض له الأنثى أكثر من الذكر، لأن الأم تتعامل بشكل مختلف مع الجنسين فهي تقوم بمنح الاهتمام والتشجيع للولد "الذكر" الذي يتميز بالشغب وحرية الحركة والبقاء مطولا خارج البيت واللعب بحرية وتوسيع ثيابه ، بعكس الأنثى التي تراقب الأم حركاتها وتحد من حريتها بإجبارها على المكوث داخل البيت مطيعة وهادئة ونظيفة، إضافة لتغطية جسدها بما في ذلك وضع المنديل على الرأس " وهكذا كانت المرأة القبائلية الشابة تستدخل المبادئ الجوهرية لفن العيش أنثويا وللهيئة الحسنة جسديا وأخلاقيا غير منفصلين وأن تعلم اللباس واختياره لمختلف حالاتها المتعاقبة ، طفلة صغيرة ، وعذراء بالغة ، وزوجة وربة عائلة ، وأن تكتسب شيئا فشيئا بالحاكاة اللاواعية بقدر الطاعة العلنية عن الطريقة الأفضل ، لربط حزامها أو شعرها وتحريك و تثبيت هذا الجزء أو ذلك من جسدها في السير أو عرض الوجه أو تصويب النظر.....إن هذا التعلم هو أكثر فعالية ولا سيما أنه يبقى بالأساس ضمنيا ، فالأخلاق النسوية تفرض بشكل خاص من خلال انضباط كل اللحظات التي تخص كل أجزاء الجسم".²⁴

أما في حالة عدم الالتزام بما سبق سيؤدي هذا إلى العقاب ، ويستدعي من الأنثى الامتثال أمام أبويها بخفض رأسها وإنحاءها ، بحيث يخلق هذا عندها الشعور بالخوف و التردد و مع مرور الزمن يتكون لديها هايبيتوس الخضوع ، وكل هذه الممارسات في رأي بورديو تحمل معان التمييز بين الجنسين ليصبح الخوف والخجل ملازما للأنثى ، في حين يتحصل الذكر على نصيب من الجرأة، القوة والأفضلية .

هكذا يخلص بورديو إلى أن هذه الممارسات هو تحقيق للهيمنة من خلال التحكم بالإرادات والأجساد للتمييز بين الجنسين تحت ما يسمى بالعنف الرمزي الذي يعتبر "عنا ناعما لا محسوسا ولا مرثيا"²⁵ وهذا يتحول العنف الرمزي إلى سلطة تتكرر بين الأجيال والمجتمع لتضمن الاستمرارية و" تبني الأسطورة الذكورية بالتدرج على تقديس المركزية "الذكر" و رفض الغيرية ونفي المختلف"²⁶ المتجسد في الأنثى .

4- الخاتمة:

نستنتج مما سبق أن البناء الجسدي الاجتماعي هو بناء العالم الخاص بالجنسين ، الذي يقوم على ثنائيات متضادة ومعاكسة كل واحد فيها يستدعي نقيضه و التي أسماها بورديو "بالترسيمات" الحاملة لخصائص العضوين الجنسيين و المجسدة عن طريق الممارسات التي تحدد هيئة الذكر والأنثى و مختلف الأدوار المسندة إليهما في الوسط الاجتماعي، بحيث ترتكز الثقافة القائمة على أفضلية الذكر ودونية الأنثى ، ليبقى بهذا جسد الأنثى في وضع أدنى من خلال عنف رمزي غير ملحوظ "invisible" ليبدو وكأنه جزء من طبيعة الأشياء و يستقر في ذهن المرأة على أنه من شيء طبيعي لا يمكن أبدا تغييره وبالتالي تبقى خاضعة لهذا التمييز دون أن تشعر.

²⁴جيل دولوز : التجربة و الذاتية ، ترجمة: أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1999 ، ص

" 21 بتصرف "

²⁵بيير بورديو ، الهيمنة الذكورية ، ص 51

²⁶نفس المصدر، ص 08

خليدة زناتي د. أحمد كشي

وهكذا فإن مفهوم الجسد يعتبر تأويلاً للاختلافات بين الرجل والمرأة ، وهو مفهوم يحمل جملة من الفوارق الناتجة عن المتغيرات الثقافية والاجتماعية ، بحيث يرى بورديو بأنه يمثل الرمزية المشتركة داخل مجتمع معين ، تتولى تحديد ما يجب أن يكون عليه كل من الرجال والنساء على حد سواء .

وتتلخص رؤية بورديو في أن العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة سلطة وهيمنة ذكورية يمتلك فيها الرجل رأسمال ثقافي رمزي تفتقر إليه الأنثى ، مما يجعل من جسدها وكيانها في حالة تهميش دائم وهيمنة مستمرة ويمكن تلخيص ما وصل إليه من نتائج في بعض من هذه النقاط المختصرة :

1- أراد بورديو أن يقوم بتجاوز ثنائية الذكر والأنثى المبنية على أساس بيولوجي بحث والتركيز على ثنائية المرأة والرجل المبنية على تقييم اجتماعي وثقافي للجنس من خلال تجسيد ذلك في السلوكيات اليومية .

2- يتم تمييز الجسد الأنثوي من منطق التسلط الذي ، يمثل عنفا رمزياً ، فيصبح جسد المرأة من خلاله الدعامة الأساسية لكل تمييز يقع ضدها .

3- المرأة القبائلية لا تمثل جسدها خارج البنى الفكرية لمجتمعها ، وبهذا يصبح جسدها عبارة عن علامة اجتماعية وثقافية تدخل في شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تساعد في تكريس الخطاب والذهنية الذكورية المهيمنة وإعادة انتاجها .

4- وجود مجموعة من التمثلات والسلوكيات التي تعكس وبوضوح مدى وجود الفوارق الجسدية ورسوخها وتجذرها في فكر المجتمع القبائلي مما يؤدي بهذا التمييز إلى إقصاء المرأة من أغلب المرافق الاجتماعية .

5- تمثلت أنوثة المرأة القبائلية - في مجتمعها وثقافته - في جسد قد تم استعماله كمبرر للتهميش والإقصاء وإبعاده عن صناعة القرارات وإخضاعه الى سلطة وهيمنة ذكورية .

بعد هذا التحليل السوسوثقافي لبورديو ، يمكن القول بأن التمييز بين المرأة والرجل ماهو إلا سلوك ناتج عن دوافع اجتماعية لفرض الخضوع والسيطرة وهذا ما تمليه ثقافة المجتمع ، فهل بعد هذا يمكن القول أنه يجوز القبول بهذه الهيمنة وهذه الثقافة التي تركز التمييز بين الجنسين ؟

إن محو هذه الرواسب الثقافية ، أصبح مطلباً ضرورياً ومشروعاً بالنسبة للمرأة المهيم من عليها ، فهذه الثقافة التي تمتد جذورها في المجتمعات ، بتراثها وتقاليدها ومعتقداتها ، واصفة المرأة بالدونية والضعف ، تجعلنا نستخلص بأن الرؤية لها لا تزال قائمة على الاختراق والتجاوز لا على العدل والمصالحة ، فواقعها لا يزال مهمشاً بسبب الخلفية التي تقدس الرجل وتجعلها في مرتبة أقل منه .

هذا التمييز الذي يستند إلى ثقافة ذكورية ومنطق متسلط وجب تجاوزه وتغييره ، فعلى المرأة أن تخرج من دائرة الشئئية والاستهلاكية ، لتفرض كيانها كإنسان كامل وأن تنعتق من ضغط البيئة ومن أحكام القيم والأعراف السلبية التي لا تخدمها ولا تخدم المجتمع ، وبأن تتحرر من الضوابط الأخلاقية المصطنعة والتي لا تستند في حقيقتها إلى شرعية دينية وأخلاقية وإنسانية حقيقية وصحيحة .

وهذا لن يكون إلا عن طريق نشر الوعي في المجتمع للمساهمة في عملية التحرر من هذه الأفكار للتخلص من العلاقات الاجتماعية المتخلفة ، ومن التقاليد البالية والمتسلطة التي ترسخت في الأذهان وبضرورة هدم جميع المرجعيات والمعتقدات التي تبرر الظلم الاجتماعي الممارس على المرأة بغير وجه حق ، وإلغاء الصور الثقافية المتوارثة التي صاغت المجتمعات على مدى التاريخ للتمييز بينها وبين الرجل الذي يعتبر شريكها في الإنسانية وفي صناعة الحياة .

تهمدش الجسد الأنثوي في الثقافة الاجتماعية من منظور بيير بورديو "

5- المصادر والمراجع :

- 1- بيير بورديو: الهيمنة الذكورية ، ترجمة : د.سلمان قعفراني ، مراجعة : د.ماهر تريمش ، مركز الدراسات والوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ابريل 2009 .
- 2- بيير بورديو : أسئلة علم الاجتماع " حول الثقافة و السلطة و العنف الرمزي " ، ترجمة و تقديم : ابراهيم فتحي ، دار العالم الثالث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1995 .
- 3- دنيس كوش : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : د.منير السعيداني ، مراجعة : د. طاهر لبيب ، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة 1 ، مارس 2007 .
- 4- دافيد لوبروتون : "سوسيولوجيا الجسد " ، ترجمة : عياد أبلال ، إدريس المحمدي ، روافد للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط1 ، 2014 .
- 5- ميشال فوكو : "الجسد الطوباوي ، أماكن أخرى " ، ترجمة : محمد العرابي ، مدونة جورج باتاي ، منشورات الانتهاكات ، العدد السادس ، دت
- 6- عبد السلام حيمر : في سوسيولوجيا الخطاب " من سوسيولوجيا التمثلات إلى سوسيولوجيا الفعل " ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008 .
- 7- جون سكوت : خمسون عالما اجتماعيا أساسيا " المنظرون المعاصرون " ، ترجمة : محمود محمد حلمي ، مراجعة : جبور سمعان ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2009 .
- 8- جان بودريار : المصطنع و الاصطناع ، ترجمة : جوزيف عبد الله ، مراجعة : سعود المولى ، المنظمة العالمية للترجمة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة 1 ، 2008 .
- 9- جيل دولوز : التجربة و الذاتية ، ترجمة ، أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1999 .
- 10- رولان بارت : أسطوريات " أسطورة الحياة اليومية " ، ترجمة : قاسم مقداد ، دار النينوى ، اللاذقية ، سورية ، د.ط ، 2012 .
- 11- فريد الزاهي : الجسد والصورة و المقدس في الإسلام ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ب.ط، 1999
- 12- مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دارقباة للطباعة و التوزيع و النشر ، ب.ط ، ب ت